

فيه فجوابه ان ذلك لا يجوز بل كان من الادب مع هذا الامام الجليل أن يبرأ من مثل هذه العبارة وان وجدت في كتاب معزو اليه، ويحكم بانها مدسوسة في ذلك الكتاب عليه، فقد عهد من المضلين، ان يدسوا في كتب المشهورين، كما وقع للشمراني في حياته وأثبت هو وغيره وقوع ذلك لتيره . كيف لا وان بين ايدينا كتب كثيرة في التوحيد من مصنفات ابن تيمية وكلها مؤيدة لذهب أهل السنة الصحيح وسلف الامة الصالحين لا تمدوه قط

باب الاخبار والآراء

الى الاحرار في روسيا وفي البلاد العثمانية وفي سائر البلاد *

أيها الاخوان : نخبكم بمزيد الاسف ان الدستور الايراني الجديد صار على شفا السقوط بسعي الحكومة المستبدة . نعم ان حكومتنا الايرانية المستبدة لضيفة امام حزب المجاهدين الايرانيين . ولكن ما الحيلة والحكومات المستبدة تتعاون وتتحد على اضطهاد انقراء واستئصال المطالبين بالحرية والعدل . كانت الحكومات المستبدة المجاورة لفرنسا تساعد امبراطور فرنسا على محاربة طلاب الحرية كذلك تساعد الحكومة الروسية والحكومة العثمانية حكومة ايران المستبدة على اسقاط الدستور الايراني وتبديد شمل احزاب الاشتراكيين الديموقراطيين في ايران

ايها الاخوان : اذا كانت الحكومة المستبدة تتعاون على محافظة استبدادها ومصالحها فاذا يكون اذا نحن سائس الاحرار اتحدنا على محاربة الاستبداد والمستبدين فنحن معاصر حزب الاشتراكيين

الديموقراطيين الايرانيين نرجو من اخواننا الاحرار في روسيا والبلاد
العثمانية وغيرها من البلاد باسم الانسانية والحرية والنهضة للنوع البشري
ان يساعدونا في هذا السبيل ويظهروا امتعاضهم واستيائهم من الحكومتين
الروسية والعثمانية اللتين لا تألوان جهداً في السعي لاسقاط الدستور الايراني
بالتدخل في امور ايران الداخلية نحن معاصر المجاهدين نرفع اصواتنا
على عتبة مجلس الشورى الايراني قائلين :

ليحي جميع الاحرار والناضحين لوجه الانسانية على وجه البسيطة، لتحي
الجمهورية الديموقراطية وتسقط الحكومة المقلقة وليسقط الانجباء الظالمون
حزب الديموقراطيين الاشر اكين الايراني ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٥

فقيه الصحافة والوطنية

﴿ مصطفى كامل ﴾

مالنا لا تنتهي من نبي الال الى نبي ، ولا فرغ من ترجمة مبكي الاوتقبا
بتأين مبكي ، وما بال أم لهم تلهم من المسلمين ، أشهر الكتاب والسياسيين ،
فهاهي ذي قد اغتضرت اليوم أندى الصحافيين المصريين صوتاً ، وأبندهم
في عالم السياسة صيتاً ، وأشدهم في ذمها بلده تأييراً ، وأكثرهم ولياً ونصيراً ،
مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء العربية ، ومدير جريدتي اللواء
الفرنسية والانكليزية ، ورئيس الحزب الوطني الذي تأسس في مرض بمائه ،
واختاره رئيساً له مدة حياته ،

قضى رحمه الله تعالى عن أربع وثلاثين ربيعاً في السياسة ،
ونصف هذا النصف في الصحافة ، باذلاً فيها أخذ فيه جميع أوقاته ، ومفرغاً

فيه انتهى وجدانه وشموه ، وما زال الشمو والوجدان ، أقوى المؤثرات في الانسان ، وقد أعجب بخطته في اللواء جمهور القارئين ، ثم تحزبت له تابتة كبيرة من المعلمين ، بل عشقه بعض طلاب الحقوق عشقا ، وملك قلوبهم ملكا ، فظهر أثر تحزبها في تشييع جنازته بمظهر عريب ، ماروي مثله من نسيب ولا قريب ، حتى أرت حالهم في جميع المشيعين ، وجذبت قلوب الناظرين ، بل استعبرت المقل الجامدة ، وسمرت الافئدة الخامدة ، بل كان لهم بعد ذلك سلطان على اكثر الجرائد المصرية ، حتى المخالفة للفقيد في آرائه السياسية ، ومن كان يئنه وبين اصحابها مناصبة شخصية ، بل صار لهم ظهور سياسي يرجو الجذع نائله ، ويخشى القارح عقابه ، ومشى في جنازته خلق كثير ، في مشهد لم يعهد له نظير ، حمل فيه تلاميذ المدارس رايات للحداد ، يطوها السواد ، وقدر عدد من شهد الجنازة بخمسة عشر ألفا ، ورأي بعضهم أنهم يناهزون ثلاثين ألفا ،

كان رحمه الله تعالى مصداقا بيتنا قوله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق له » فقد كان في سن الدراسة ، يحدث نفسه بالسياسة ، ويمنيها بالرئاسة ، فيجدو به ذلك الى مثافة الكبراء ، ويرجيه الى مناقشة الرؤساء والوزراء ، حتى فتمت له السياسة وهو في مدرسة الحقوق أبوابها ، وزينت له بأن يكون طلابها ، فأثر لها التناوة ، على المذاكرة بمجد وعناية ، حتى ظهر أثر ذلك في الامتحان ، على ما كان عليه من اللوزعة وجرأة الجنان ، على انه نال بعد ذلك شهادة الحقوق في مدرسة طولوز الفرنسية

وكان كبير النفس ، طموحا الى المعالي ، جرى الجنان ، طاق اللسان ، قوي الشمو والوجدان ، متلافا للمال ، اذا اقتضت الحال ، فهذه هي الصفات

القطرية ، التي أهلتها لتلك الناية الكسبية ، باقتراض الحوادث ، ومواتاة
الوقائع ، ومساعدة الزمان ، واستعداد البيئة والمكان ،

أما استعداد البيئة فنشؤه انه كان قد سبق لهذا الشعب حركة حيوية ،
ونهضة اجتماعية اديبه ، ثلها يقظة وطنية ، أنتجت ثورة شعبية عسكرية ،
وعقب ذلك احتلال الانكليز للبلاد ، وايقاف حركة ذلك الاستعداد ، فسكنت

الاسنة وسكنت الاقلام ، وغلت الايدي وقيدت الاقدام ، ولكن هذا
الوقوف كان في الظاهر ، دون ما تنطوي عليه السرائر ، من ضغائن
مضطربة ، وحنائظ مضطربة ، وأوهام منزعجة ، وأحلام منزعجة ، مع مجازاة
الامير توفيق للاحتلال ، ومواتاة له في كل حال ،

فبعد ان قضى الامير توفيق وولي الامير عباس دخلت البلاد في عهد

جديد من الحركة الوطنية ، تجلت فيه كتجليات الحقيقة الكلية ، فكان تجليها

الاول هو التجلي العام ، الذي ظهر في الخواص والعموم ، وكان لسانه الناطق

جريدا المؤيد والاهرام ، ثم قدر التجلي في جميع الطبقات ، ثم ظهر في طبقة

الضباط وقتنا من الاوقات ، ثم فتر طائفة من الزمان ، ثم ظهر في مظهره الذي

هو عليه الآن ، بأن تفجرت روحه في الناشئين ، فعملت فعلها في غير أصحاب

المهام من المعلمين ، لان هؤلاء لا يعرفون لهم جنسية الا في الدين ، وقد كان

مصطفى كامل (رحمه الله) هو المجلي ، في ميدان هذا الطور من الحوار التجلي ،

ثم صار داعية النابتة الى هذه الوطنية وهاديها ، أو سائقها وحاديها ، وهي هي

فوق المدعو والهادي ، وامام المسوق والحادي ،

وقد كنت اعجبت بما رأيت من تجلي الوطنية اول مقدمي لهذه البلاد فكتبت

فيها مقالة في المؤيد عنوانها (الحياة الوطنية) اعجب بها كثيرون حتى

استظهرها بعض أساتذة المدارس الاميرية، ثم رأيت الدعوة موجهة الى جعل الوطنية جنسية للمسلمين، فانكرتها في المنار بالبرهان المبين، واكثرت من الكتابة فيها حتى في تفسير القرآن، ولا ينبغي لي الخوض في ذلك الان، عرفت مصطفى كامل في السنة الاولى من هجرتي لهذه البلاد وكنت اراه كثيراً في ادارة المؤيد اذ كنت اطبع المنار في مطبعة الآداب وكان معجبا بالمنار حتى كان يهتفي احيانا ببعض المقالات ويقول لي انك قادر على خدمة الاسلام انفع خدمة واجلها ولكن الكتابة لا تكفي وحدها فاطلب من الشيخ محمد عبده ان يجعل خطيبا في أحد المساجد الكبيرة فان له نفوذا يمكنه من ذلك وهو صاحبك فيما أرى ولو كان لي به صحة لطلبت لك منه ذلك، ومن هذه العبارة يعلم رأيه في تأثير الخطابة

ثم اصدر جريدة اللواء - والمنار يومئذ في اصيل سنته الثانية - فنصحت له في تقريرها بان يتبع ما يكتب في الجرائد الاوربية عن الاسلام ويترجمه لجريدته ليكون لها امتياز عن غيرها من الجرائد الاسلامية وان يترك ما اشترطه من عدم ارسالها الا لمن يدفع قيمة الاشتراك سلفا فساء ذلك ولكنه علم بمد التجربة انه لباب النصيحة. وانتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب ان في مصر من يسمى لها سميها وينت له وجه الضرر في ذلك الارجاف. فكبر عليه ذلك وقطع المبادلة الصحافية بيننا وبينه وانحى علينا بمد ذلك كثيراً لما كان عليه عفا الله عنه من الشدة على من خالفه ولو مهضوما، ونصر من واقفه ظالما كان او مظلوما، وكان الاول من اسباب ببطء انتشار اللواء، على ما كان فيه من مواضع اعجاب الدهماء، كالمبالغة في ذم المحتلين، وانتقاد الحكومة، ومدح الامم، وتحمي الاتقاد عليها، والتبويه

بالاستقلال ، والتعجل بطلب نحو الاحتلال ، ولكن اللواء صار في هذه
 المدة الاخيرة من ام الجرائد المصرية واكثرها انتشارا . فرحم الله
 مؤسسه وعفا عنه ولطنا نوفق بمد الى كتابة شيء عن العبرة بسيرته في
 حياته وموته ،

تاريخ العرب والاسلام

(في سلك القمص والروايات)

لا سلوب القمص المروفة بالروايات تشويق للمطالعة لا ينال منه الملل ، وجذب
 الى القراءة لا يجشى منه السأم ، فاذا هي أودعت من الفوائد النافعة في التاريخ والآداب
 والاخلاق والسياسة وشؤون الاجتماع ما يتفق مع اللذة كانت من أقوى ذرائع
 تهذيب الجمهور ورفع طبقات العامة الى مستوى يتصلون به مع طبقات الخاصة حتى
 تكون الامة كسلسلة اذا تحرك أحد طرفيها انتقلت الحركة الى الطرف الآخر . وانه
 ليحزنا ان نرى اكثر القمص او الروايات كما يقال خالية من هذه الفوائد ، مشتتة
 على كثير من المناسد ، تفرى القتيان والفتيات بالغرام ، وتجرى الحبي على ارتكاب
 الحرام ، وتعلم الاغرار ، حيل الشطار ،

هذا وانما نحن المسلمين قد أصبحنا وامسينا أجهل الامم بتاريخنا ، وكيفية تلك
 النشأة الصالحة لمتنا ، وبنابيح تلك الآداب ، التي أخضعت أمم المدينة لشراذم من
 الاعراب ، ذلك بأن تاريخ تلك النشأة لم ينظم في السلك العلمي الحديث ، وأما في
 روايات متفرقة كروايات الحديث ، لم يرزق من فلاسفة التاريخ من يستنبط حكمه ،
 كما رزق الحديث من الفقهاء من استنبط احكامه ،

فنحن الان في حاجة الى وضع تاريخ الاسلام في اسلوب علمي لاجل الخواص ،
 والى إيداعه في اسلوب قصصي يسهل تناوله حتى على العوام ، وقد كان الوضع الاول آخر
 عمل توجهت اليه همة الاستاذ الامام ، وفي عزمنا ان نخلفه فيه ان شاء الله وامهتنا
 الايام ، وأما الثاني فقد شرع فيه صديقنا السيد عبد الحميد الزهراوي ، العالم الاسلامي
 والكاتب الاجياعي ، وقد سمي الرواية الاولى (خديجة ام المؤمنين) وسنشرها في
 المنار بالتدرج ، وهناك مقدماتها في هذا الجزء

خديجة ام المؤمنين

(مقدمة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قبل ثلاثة عشر قرناً على الحساب القمري حدث في الكون حادث
عظيم جداً لم يحدث بعده مثله الى الآن ، وقد كان له دويّ قويّ وأثر
كبير في آسيا وأوروبا وأفريقيا وتخلقه انقلاب عظيم في ممالك الأرض
وتغير جسم في أحوال الأمم والشعوب ، ذلك الحادث هو قيام العرب
بمقيدة جديدة وانضمامهم جميعاً الى كلمة النبي الذي قام فيهم منهم وهو
محمد عليه الصلاة والسلام وشروعهم جميعاً بالهجوم على الممالك وفوزهم بهذا
الهجوم وانتصارهم وغلبيتهم على الأمم وانضمام أمم كثيرة الى عقيدتهم
وتكون ملكهم العظيم من حدود الهند الى البحر الاطالتيكي شرقاً وغرباً
ومن سواحل البحر الأحمر الى سواحل بحر قزوين شمالاً وجنوباً في
أسرع ما عرف في التاريخ كله من الفتوحات الكبيرة السريفة
هذا الحادث العظيم يتلقاه بعض الناس بغير تفكر كأنه معتاد الحدوث
كثيراً فلا يبحث هؤلاء عن سر حدوثه ولا يريدون أن يستفيدوا من
التدبر والتفكر بسر ذلك النجاح العظيم الذي أوتيه أولئك القوم بسرعة

جديرة أن تشبها بلعج البصر . وبعضهم يتلقاه كما هو أي يفهم أنه حادث من أكبر الأحداث التي حدثت في الدنيا ويراها جديرا بالبحث والتأمل وامعان النظر ولدى التأمل نجد هناك جزئين تمّ بهما هذا الحادث العظيم الأول النبي محمد عليه الصلاة والسلام والثاني الذين آمنوا به ونصروه من العرب . وبديهي أن أول مؤمن به هو صاحب الفضل الأول بعد النبي في إقامة هذا الصرح العظيم

ومن الأمور التي يحق أن يفخر بها جنس النساء أن هذا الفضل الأول أي السبق بالإيمان به والمواقفة له كان نصيب سيدة من أشرف قومها هي زوجته السيدة خديجة بنت خويلد من قريش . ولما كانت سيرة هذه السيدة الشريفة المساعدة في وضع الأحجار الأولى من هذا الحادث العظيم لا تخلو بالبداية من فوائد جسيمة أزممت أن أقدم في هذه الأوراق لمحي الفوائد الأدبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية أعظم هدية مقتطفاً هذه الثمرات من دوحة حياة هذه السيدة الجليلة ولكن رأيت من اللازم جداً قبل دخولي بالقارئ على سيرتها أن أمرّ به مرّة على قومها العرب عامة ثم قريش خاصة فإن تعرفه بهم يساعد على معرفة هذه السيدة الجليلة



العرب

العرب كسائر الأمم أوائلهم مجهولة ، وأحوالهم منذ عرفوا معروفته تقف الآن عند هاتين الكلمتين وتنتفت قليلاً إلى مبحث لطيف مختصر فيه الكلام ثم نعود إلى سياق حديثنا

يزعم كثير من الاقوام انهم يعرفون اصول امتهم الى ابي البشر الاول ومن الاقوام من يزعمون انهم يعرفون سلاسل اصول الامم كلها حتى يصلوا بها الى ذلك الاصل الاول

ومن التزم التحقيق لا يستطيع ان يجزم بشيء مما يذكر عن تلك الاصول والاوائل . ومن تسامح بتصديق ما يروى يتشابه عليه الامر فيعثار في تصديق التناقضات ، والترجيح بين المختلفات ، ومهما جنح الحريص على المسرفة الى الاستثناس بما يمكن قبوله من الحكايات في هذا الباب لا يستغني عن طرح كثير منها مما تقوم الادلة على بطلانه

لماذا حرص كل الشعوب على معرفة اسلافهم الى اول اصل ؟ لا تدري ولكن يلوح لنا انه لذت للا كثيرين دعوى هذه المعرفة فابتدع كل قوم اسطورة في بيان اصلهم ينقلها الآباء لابناء ويسطرونها في كتبهم تسطيراً

اما الباحثون عن انساب الشعوب فلما يتسوا من هذه المعرفة فنعوا بأن تكون لهم معرفة ما باصول الشعوب التي وجدوها متقاربة في اللغات وغيرها من المميزات وقد اتسوا من كثرة البحث والاستثناس بالمنقول ان البشر المروفين اليوم هم من ثلاث سلالات (١) السامية و (٢) الارياية و (٣) التورانية

وظاهر من هذا انهم لما أرادوا وضع اسماء الاصول القليلة التي تفرقت منها هذه الشعوب المعروفة تساهلوا بقول بعض ما تلقى في حكاية البشر مما قبل التاريخ ولكن هذا لا يروي في الحقيقة نيل المحققين ولا غليل الخياليين فيسطل المحققون صابرين على جهل مثل هذا ويبقى

الخبايون متمسكين بما قد حكي لهم من قبل وربما تسليح الحقيقة
عن احتجاجها برؤية تائيلها وما تائيلها الا أساطير الاولين
اما نحن فنرى انه لا حاجة للتسليح بتلك الاساطير لانا اذا اشتبهنا
المعرفة فإمامنا مما قد نستطيع معرفته ما تنفذ مراحل أعمالنا من غير ان
نقطع في ميدانه شوطاً بعيداً، وما الوصول الى غاية في هذا الميدان مما
يجوز ان نطمح فيه

فاذا أردنا الآن ان نعرف العرب فعلىنا قبل كل شيء ان نريح أنفسنا
من الطمع بمعرفة سلسلتهم الآدمية الى آدم أو الى نوح بالتفصيل كما فطنا
طمعنا من معرفة ذلك في سائر الامم فلماذا لا حاجة الى ما يدكره
علماء الانساب من كون هذا الجيل من الاجيال السامية اذ يقال اني لهم
العلم بسام ابي الشعوب السامية وكيف بيني أهل الفن مبادئ على شيء غير
معروف بالطرق التي تفيد العلم اليقيني؟ وما أغنى من يريد ان يعرف جيلاً
كالعرب عن الاستعانة بأساطير الاولين

* * *

يقول المؤرخون ان العرب ثلاثة أقسام (١) بائدة و(٢) عاربة و(٣)
مستعربة اما البائدة فهم العرب الاول الذين ذهب عنا تفاصيل اخبارهم
لتقدم عهدهم وهم عاد، وحمود، وطسم، وجديس، وجرهم الاولى، واما
العرب العاربة فهم عرب اليمن من ولد قحطان، والعرب المستعربة هم
ولد اسماعيل بن ابراهيم
هذا قولهم وهو لا يجزئني لان البائدة ليست موجودة حتى بعد
وان كانوا يعدونها لان منها اشتق غيرها فهذه شهادة بأنها لم تبد. وقد

ذكروا في هذا التقسيم عرب اليمن من ولد قحطان قسماً مستقلاً ولم يذكروا لنا من هو قحطان هذا . وذكروا أولاد اسماعيل بن ابراهيم قسماً مستقلاً ولم يأتوا بدليل قويم على انه يفرع من اسماعيل ذرية مستقلة هم العرب المستعربة . وجل ما ذكروه ان اسماعيل الذي كان غريباً في جوار مكة المكرمة تزوج باسراة عربية من تلك القبائل التي كانت حولها ، فهل انقطع نسل تلك القبائل حتى أصبح لا يذكر اذا ذكر العرب ثم تبارك نسل اسماعيل الغريب وحده حتى صار قسماً مستقلاً هو ثالث ثلثة أو ثاني اثنين اذا ذكر العرب ؟ لسنا ندري ولكننا نعرف ان هذا من جملة الاقوال التي تكتسب بكثرة الموافقة في مرور القرون صبغة لا تزول فخر الاكثرين وهي في الحقيقة لا تصبر على النقد والحك فليت أولي الالباب يكتفون من حك هذه المشهورات

وانما يعجبني جداً في هذا الباب ما روي من ان النبي العربي عليه السلام كان اذا اتسب يقف عند عدنان ولا يتجاوزهُ ويقول « كذب للنسبون »^(١) ويعني بذلك الذين يزعمون معرفة الانساب الى آدم أو الى نوح اما الذي لا يغير النقد من سطوع جوهره شيئاً فهو ان العرب يوم ظهر فيهم النبي الذي اُعلى شأنهم كانوا متفرقين في أقطار جزيرة العرب ومنقسمين قبائل كل قبيلة تذكر لنفسها نسباً تقف فيه عند رجل معروف لها وتمسك بما وراهه . والمشهور ان لقبائل الحجاز أصلاً ، ولقبائل اليمن أصلاً آخر ، وللقبائل بهد ذلك أصول متفرعة من أحد الاصلين .

(١) رواه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس وتمتعه : قال الله تعالى

« وفرقنا بين ذلك كثيراً »

وعرب العراق والشام ترجع الي أحد هذين الاصلين أيضا، فمدان هو أبو عرب الحجاز غالبا، وتعتان هو أبو عرب اليمن والعراق والشام غالبا وان قال قائل كيف عرف هذا عن العرب وهم أهل بادية متشتون متفرقون، متقاتلون متذابحون، لا ملك لهم جامع، ولا شرع فيهم وازع، ولا يد لهم في الاعمال الاجتماعية، ولا نصيب لهم في الشؤون السياسية، وليس لهم قبل الاسلام كتاب معروف تدون فيه أخبارهم، وتذكر فيه مآثرهم وآثارهم، فمن أجل ذلك لا تجوز الثقة بما ينقل ويحكى عنهم ولسنا نعرفهم الا بالاسلام، فالاسلام قد جمع الازواع من أهل هذه اللغة الواحدة على كلمة الغزو، وهذا لا يثبت ان العرب كانوا يعرفون لقبائلهم أصولا وانهم كانوا يتعارفون بأسابهم ؟ ؟

نقول لصاحب هذا القول ان العرب لم يكونوا مجهولين ولا مجهولة أخبارهم فاذا قلنا انهم لم يكونوا أهل كتابة وتاريخ فأخبارهم المحفوظة المنقولة هي ديوان سيرهم، واذا لم نثق بنقل أخبارهم استطعنا ان نعرف العرب من تاريخ الامم المجاورة لهم . فالفرس قد سبروهم لان من العرب ملوكا كانوا لهم خاضعين، وقوادا كانوا بأمرهم عاملين . والروم قد خبروهم لان في مملكتهم ملوكا وقوادا وولاة من العرب، والديانة الجوسية تعرفهم لان منهم من كان على دين ملوك فارس، والكنايس تعرفت بهم لان منهم نصارى بل قيسيين ورهبانا، وبيع اليهود ما جهلتهم، والناسفة ما أنكرتهم، والحضارة قد ألمت بما كنهم (في اليمن والعراق والشام) ومخالطة الامم أخذوا بقسط منها وأخذت بقسط منهم، فكيف يكون هذا الجليل مجهولا بعد كل هذا ؟

ان العرب كانوا معروفين . ومما عرفوا واشتهروا به الحرص على وحدتهم القومية فكانوا أمام الغريب أمة واحدة لها وحدة باللغة والنسب واتصال الديار والمصيبة عند التناصر فإذا رجعوا إلى ما بينهم كانوا قبائل شتى تنتمي كل قبيلة إلى أب لها ثم يجمع قبائل كثيرة منهم أب واحد وهكذا . ولا يستمد من أمة محتاجة إلى التناصر وليس لها كسائر الأمم كتاب يجمع أخبارها وسير أبطالها أن يعني كثير من أفرادها بحفظ ذلك في أذهانهم وأية أمة ممن يرى يتناسى أفرادها سيرة أبطالهم . وقد كان الرجل من العرب إذا عظم أمره أو كثرت ماله انفرد بأهله وانتمت إليه الثرية ووضعوا لأنفسهم نسبة جديدة من غير أن يضيفوا حظهم من الارتباط بالنسبة الأولى لأن لهم عند التناصر - ظا منها عظيما

يذكر أحد علماء هذا الشأن أن العرب كانت قبائلهم أرحاء وجماع فالأرحاء هي القبائل التي أحرزت دورا ومياها لم يكن للعرب مثلها ولم ترح من أوطانها ودارت في دورها كالأرحاء على أقطابها إلا أن ينتجع بعضها في البرحاء وعام الجذب . والجماع هي القبائل التي يتفرع من كل واحدة منها قبائل اكتفت باسمائها دون الانتساب إليها فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو منها مكنت باسم معروف بموضع

وكان علم النسب من جملة علوم العرب قد أثره عنهم أهل الرواية أول كل شيء . ونقلوا فيه حكايات كثيرة (منها) ما ذكره عن يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس وذلك أنه رأى في منى رجلا على راحلة ومعه عشرة شباب بأيديهم الحماجن ينحون الناس عنه ويوسعون له

فدنا منه وقال له: «من الرجل؟ فقال «أبي رجل من مهرة ممن يسكن الشجر» قال يزيد فكرهته ووليت عنه فناداني من ورائي: مالك؟ قلت «لست من قومي ولست تعرفني ولا أعرفك» قال «ان كنت من كرام العرب فسأعرفك» قال يزيد فكررت عليه راحتي وقلت «اني من كرام العرب» قال فمن أنت؟ قلت «من هضر» قال «فمن الفرسان أنت أم من الارحاء؟» فعلمت انه أراد بالفرسان قيسا وبالارحاء خندقا . فقلت «بل من الارحاء» قال «أنت امرؤ من خندف» قلت «نعم» قال «من الارومة أنت أم من الجماجم؟» فعلمت انه أراد بالارومة خزعة وبالجماجم بني اد بن طابخة . قلت «بل من الجماجم» قال «فانت امرؤ من بني اد بن طابخة» قلت «أجل» قال «فمن الدواني أنت أم من الصميم؟» فعلمت انه أراد بالدواني الرباب ومزينة وبالصميم بني تميم . قلت «من الصميم» قال «فانت اذا من بني تميم» قلت «أجل» قال «فمن الاكثرين أنت أم من الاقلين أو من اخوانهم الآخرين؟» فعلمت انه أراد بالاكثرين ولد زيد وبالاقلين ولد الحارث وباخوانهم الآخرين بني عمر وبني تميم . قلت «من الاكثرين» قال «فانت اذا من ولد زيد» قلت «أجل» قال «فمن البحور أنت أم الدرا أم من الثماد؟» فعلمت انه أراد بالبحور بني سعد وبالدرا بني مالك بن خنظلة وبالثماد امرا القيس ابن زيد . قلت «بل من الدرا» قال «فانت رجل من بني مالك بن خنظلة» قلت «أجل» قال «فمن السحاب أنت أم من الشهاب أم من اللباب؟» فعلمت انه أراد بالسحاب طرية وبالشهاب نهشلا وباللباب بني عبد الله بن دارم . فقلت له «من اللباب» قال «فانت من بني عبد الله بن دارم» قلت «أجل» قال «فمن البيوت أنت أم من الدوائر؟» فعلمت انه أراد بالبيوت ولد زرارة وبالدوائر

الاحلاف . قالت « من البيوت » قال « فانت يزيد بن شيبان بن علقمة
ابن زراوة بن عدس وقد كان لايك امرأتان فأيهما أمك ؟

•••

ولقد غلط من ظنوا ان العرب لم يكن لهم من حضارة ولم يكونوا
على شيء مما عليه الامم من الروابط كلابل كان لهم حضارات وملوكهم
التبابعة في اليمن معروف أمرهم عند المشتغلين بالتاريخ . وملوك الحيرة
(في العراق) مشهورون من عرف تاريخ الفرس عرفهم . ان سهل أريخ
العرب أولهم مالك بن فهم بن غم بن دوس بن سلالة الأزدي من ولد
كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ملكه في أيام ملوك
الطوائف الفارسيين وملك بعده أخوه عمرو بن فهم ثم ملك بعد عمرو
ابن أخيه جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم وجذيمة هذا هو صاحب الحديث
المشهور مع الزباه (زوييا) صاحبة تدمر وخلاصة الحديث فيما يروي
مؤرخو العرب ان جذيمة قتل أباهما حثالت عليه الزباه وأطمعته في نفسها حتى
اغتر وقدم اليها فقتله وأخذت بثرايها . وبعد قتله انتقل الملك الى يد
ابن اخته عمرو الاعمري جد الملوك المناذرة الاعميين .

والمملوك الفسائون في الشام مشهورون أيضا لجهلهم من عرف تاريخ
الرومان اذا جهل تاريخ العرب . وأصل غسان من اليمن من بني الأزدي
ابن النوث ، تفرقوا من اليمن بسيل العرم ، ونزلوا على ماء بالشام يقال
له غسان فنسبوا اليه وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعة من
سليح فأخرجتهم غسان من ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم .

وأول من ملك من عمان جفنة بن عمرو بن ثعلبة، وكان ابتداء ملكهم قبل الاسلام بربعم مئة سنة وقيل أكثر من ذلك، ولما ملك جفنة وقتل ملوك سليح دانت له قضاة ومن بالشام من الروم، وبني بالشام عدة مصانع ولما مات ملك بعده ابنه عمرو بن جفنة، وبني بالشام عدة ديور منها دير حالي ودير أيوب ودير هند، ثم ملك بعده ابنه ثعلبة بن عمرو وبني صرح القرير في أطراف حوران مما يلي البلقاء، ثم ملك الحارث بن ثعلبة، ثم ملك بعده ابنه جبلة بن الحارث وبني القناطر وأدرح والقسطل، ثم ملك بعده ابنه الحارث بن جبلة وكان مسكنه بالبلقاء فبني بها الحنير ومصنعه، ثم ملك بعده المنذر الأكبر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الأول، ثم ملك بعده أخوه النعمان بن الحارث ثم ملك بعده أخوه جبلة بن الحارث ثم ملك بعدهم أخوهم الإيهم بن الحارث وبني دير ضخم ودير النبوة، ثم ملك أخوهم عمرو بن الحارث ثم ملك جفنة الأصغر ابن المنذر الأكبر، وهو الذي أحرق الحيرة، وبذلك سموا ولده آل معرق. ثم ملك بعده أخوه النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر ثم ملك النعمان بن عمرو بن المنذر، وبني قصر السويداء ولم يكن عمرو أبو النعمان المذكور ملكا وفي عمرو المذكور يقول النابغة الذبياني

عليّ عمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

ثم ملك بعد النعمان المذكور ابنه جبلة بن النعمان، وهو الذي قاتل المنذر اللخمي بن ماء السماء. ثم ملك بعده النعمان بن الإيهم بن الحارث بن ثعلبة، ثم ملك أخوه الحارث بن الإيهم، ثم ملك بعده ابنه النعمان بن الحارث، وهو الذي أصاح صهاريج الرصافة وكان قد خربها بمضى

ملوك الحيرة اللخمين ، ثم ملك بعده المنذر بن النعمان ، ثم ملك بعده
 أخوه عمرو بن النعمان ، ثم ملك أخوها حجر بن النعمان ، ثم ملك ابنه
 الحارث بن حجر ، ثم ملك ابنه جبلة بن الحارث ، ثم ملك ابنه الحارث
 ابن جبلة ، ثم ملك ابنه النعمان بن الحارث ، ثم ملك بعده الإيهم بن جبلة
 ابن الحارث وهو صاحب تدمر وكان عامله يقال له القين بن خسرو بنى
 له قصرًا بالبرية عظيمًا ومصانم . ثم ملك بعده أخوه المنذر بن جبلة ثم ملك
 بعده أخوها شراحيل بن جبلة ثم ملك أخوهم عمرو بن جبلة ثم ملك
 بعده ابن أخيه جبلة بن الحارث بن جبلة ، ثم ملك بعدهم جبلة بن
 الإيهم بن جبلة ، وهو آخر ملوك بني نسطور ، وهو الذي أسلم في خلافة
 عمر ثم عاد إلى الروم



ومن ملوك العرب ملوك كنده الذين من سلالتهم امرؤ القيس
 الشاعر المشهور أولهم حجر آكل المرار بن عمرو وخلف على الملك ابنه
 عمرو المقصور سمى بالمقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه ثم ملك بعده
 ابنه الحارث بن عمرو وقوي ملك الحارث المذكور لأنه وافق كسرى
 قباد بن فيروز على الزدقة والدخول في مذهب مزدك فطرد قباد المنذر
 ابن ماء السماء اللخمي عن ملك الحيرة وملك الحارث المذكور موضعه فمظم
 شان الحارث المذكور فلما ملك انوشروان أعاد المنذر وطرد الحارث
 المذكور فهرب وتبعته تغاب وعدة قبائل فظفروا بأمواله وبأربعمن نفساً
 من ذوي قرباه فقتلهم المنذر في ديار بني مرين وهرب الحارث إلى ديار
 كلب وبقي بها حتى مات . ومن أولاد الحارث هذا حجر أبو امرؤ

القيس الشاعر وكان حبر قد ملكه أبوه علي بن أسد بن خزاعة فبقي أمره
متأسكا فيهم مدة بعد ذلك ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم ودخلوا في طاعته ثم
هجموا عليه بغتة وقتلوه غيلة وفي ذلك يقول ابنه امرؤ القيس أياتا منها
بنو أسد قتلوا ربهم ألا كل شيء سواه خلل

وطالب امرؤ القيس بهذا الملك بعد أبيه فاستنجد بيكر وتغاب
علي بن أسد فأجده وهربت منهم بنو أسد وتبعهم فلم يظفر بهم ثم تخاذلت
عنه بكر وألب وتطله المنذر بن السماء فخرقت جموع امرؤ القيس
خوفاً من المنذر ، وخاف امرؤ القيس من أيضاً فصار يدخل على
قبائل العرب ، ويتقل من أناس إلى أناس حتى قصد السموأل بن عاديا
اليهودي فأكرمه وأزله وأقام عنده ثم سار إلى ملك الروم مستنجدا به
وأودع أذراعه عند السموأل وكانت مئة وفي مسيره إلى ملك الروم قال
قصيدة تشعير بلسان حاله ومنها قوله

تقطع أسباب اللبابة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن لنا الاحقاف بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنعدنرا

وقد مات في هذا السفر بعد عودته من عند قيصر
فبأنه كيف تكون مجهولة الامة التي فيها الملوك والاقبال، وقد وقعت
أمام الامم والاجيال، سنين من الدهر، لا يعرف لها حصر، امرئ ان القول
بأن هؤلاء القوم كانوا مجهولين وانهم كانوا متشتتين من غير ملك جامع،
ولا شرع وازع، هو قول يرسله صاحبه من غير ان يكاف نفسه بخنا وهو
لما يحط بذلك خبرا

ومتي كان العرب معروفين عند غيرهم كما أوضحنا - ولدينا مزيد
 كانوا هم أحق بمعرفة انفسهم وحفظ مناخرهم وعصبياتهم . وما نقل الينا عنهم
 من ذلك ليس منه شيء فوق العقل ولا وراء الحس بل القرائن له شاهدة ،
 وأمثاله امام أعيننا مشاهدة ، واذا لم تجز الثقة بما ينقل من هذه الاخبار
 لم يكن غيرها أحق بأشقة لعمرك الحق فان تزوير الاساطير لا يستمد وقوعه
 في كل أمة من الامم ذوات الزبر والاسفار وليست الكتب أحق بالصدق
 من القرائن الشاهدة والنظار الناطقة

فمن شاء ان لا يثق بمنقول البتة لا يصرنى رأيه ولا ينس التاريخ والمنقول
 ولا يضر العلماء الذين يحترمون التاريخ كثيرا وانما يضره وحده . يقال
 استفادته من المنقول ، ويكثر وساوسه وغروره ، ثم يصل الى درجة لا يثق
 ممها أحد بمنقوله . ومن شاء ان يثق بالمنقول عن الامم دون العرب
 لا أنافسه لانه شهد لي على نفسه شهادة كافية
 ولا أزيدة شيئا على ما أوضحنا به ان العرب تجوز الثقة ببعض ما ينقل
 عنهم كما تجوز الثقة ببعض ما ينقل عن غيرهم

من أجل هذا نؤمن بما نقل الينا من نسب سيدتنا التي تروي هنا
 سيرتها وهي خديجة القرشية فان هذا النقل من النقول التي لا تجرد النفس
 حاجة للتردد في قبولها

وقد قلنا آنفا ان لهؤلاء العرب المعروفين أصلين معروفين عندهم
 ومجهول ما وراءها وهما عدنان وقحطان ، فاما قحطان فتدأخذت ذريته

بمخطها من الملك لأن كل ملوك العرب المشهورين كانوا من ذريته واما
عدنان فان حظ ذريته تأخر قليلا ولكنه كان لهظمه متجاوز النسبة أي
انه لا نسبة بين حظ القحطانيين الذين كان يقوم منهم ملوك ثم ينطقه
مجدد وحظ اخوانهم العدنانيين الذين أشرق منهم نور مبین بهر العالمين أجمعين
فلذلك نلم هنا بذكر الذرية العدنانية دون الذرية القحطانية لاتنا
نريد ان نعرف القاري، يقوم خديجة الخوصيين . ﴿فعدنان﴾ ولد له
﴿معد﴾ ومعد ولد له ﴿نزار﴾ وأولا نزار أربعة ﴿مضر﴾ وایاد
وربيعة وأنار وقد فارق ایاد الحجاز وسار بأهله الى أطراف العراق .
ومن ذريته كعب بن مامة الايادي المشهور بالجود وقس بن ساعدة
الايادي المشهور بالتمصاحة . ومن ذرية ربيعة بن نزار قبائل عنزة وبكر
ووائل وتطلب ومن تطلب كليب ملك بني وائل الذي قتله جساس فهاجت
لقتله الحرب بين بني وائل وبين بني بكر وبين بني تطلب . ومن بني بكر
ابن وائل بنو شيبان ومن مشهور بهم صرة وابنه جساس قاتل كليب وطرفة
ابن العبد الشاعر ومن بني بكر بنو حنيفة ومن مشهور بهم سيلمة الكذاب
وولد مضر بن نزار ﴿إلياس﴾ وقيس عيلان وكثرت ذرية قيس
هذا فن ذريته قبائل هوازن ومن هوازن بنو سعد بن بكر الذين منهم
مرضمة النبي (ص) ومن ذريته بنو كلاب وقبائل عقيل وبنو عامر وضميمة
وخفاجة وبنو هلال وثميف وبنو نعيم وباهلة ومازن وعظمان وبنو عبس
الذين منهم عنزة المشهور وقبائل سليم وبنو ذبيان وبنو فزارة وكان
بين بني عبس وبني ذبيان حرب داحس التي ظلت أربعين علماء . ومن
بني ذبيان النابغة الذبياني الشاعر المشهور

وولد لالياس بن مضر ﴿ مدركة ﴾ وطابخة ومن ذرية طابخة
 بنو تميم والرباب وبنو ضبة وبنو مزينة
 وولد لمدركة بن الياس ﴿ خزيمية ﴾ وهذيل والى هذيل هذا تنسب
 جميع قبائل الهذليين ومنهم أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور
 وولد لخزيمة بن مدركة ﴿ كنانة ﴾ وأسد والهون وولد لكنانة
 ابن خزيمية ﴿ النضر ﴾ وملكان وعبد مناة وعمرو وعامر ومالك فمن
 ملكان بنو ملكان ومن بني عبد مناة بنو غفار ومن مشهور بهم أبو ذر ، وبنو
 بكر. ومن بني بكر هؤلاء الدئل. ومن مشهور بهم أبو الأسود الدئلي وبنو
 ليث وبنو الحارثة وبنو مدلج وبنو ضمرة
 وولد للنضر بن كنانة ﴿ مالك ﴾ ولم يعرف له ولد سواه وولد لمالك
 هذا ﴿ فهر ﴾ وفهر هذا هو الذي سمي قريشاً ولم يولد لمالك غير فهر
 وولد لفهر ﴿ غالب ﴾ ومحارب والحارث فمن محارب بنو محارب ومن
 الحارث بنو الخليج ومن مشهور بهم أبو عبيدة بن الجراح وجميع ذراري
 فهر يقال لهم قرشيون
 وولد لغالب بن فهر ﴿ لؤي ﴾ وتيم الأدرم ومن تيم المذكور بنو
 الأدرم ومعنى الأدرم ناقص الذنن
 وولد للؤي بن غالب ﴿ كعب ﴾ وسعد وخزيمة والحارث وعامر
 وأسامة . ومن ذرية عامر بن كعب عمرو بن ود فارس العرب الذي قتله
 علي بن أبي طالب
 وولد لكعب بن لؤي ﴿ مرة ﴾ وهصيص وعدي فمن هصيص

بنو جميع ومن مشهورهم أمية بن خلف وأخوه أبي بن خلف وكلاهما كانا
عدوين عظيمين للنبي (ص) ومن هصيص أيضاً بنو سهم ومن عدوي بنو عدوي
ومن مشهورهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد

وولد لمرّة بن كعب ﴿ كلاب ﴾ وتيم ويقظة فمن تيم بنو تيم ومن
مشهورهم أبو بكر الصديق وطلحة ومن يقظة بنو مخزوم ومن مشهورهم
خالد بن الوليد وأبو جهل عمرو بن هشام

وولد لكلاب بن مرة « قصي ﴾ وزهرة ومن ذرية زهرة سعد
ابن أبي وقاص وآمنة أم النبي (ص) وعبد الرحمن بن عوف وقد كان قصي هذا
عظيماً في قريش وهو الذي ارتجع مفاتيح الكعبة من بني خزاعة وهو
الذي أنزل مجدهم

وولد لقصي بن كلاب ﴿ عبد مناف ﴾ وعبد الدار وعبد العزى
فمن بني عبد الدار بنو شيبه حجاب الكعبة ومن مشهورهم النضر
ابن الحارث كان من أشدّاء أعداء النبي ، ومن عبد العزى أيضاً سيدتنا
خديجة بنت خويلد التي تزوي سيرتها

وولد لعبد مناف بن قصي ﴿ هاشم ﴾ وعبد شمس والمطلب ونوفل
فمن عبد شمس أمية ومنه بنو أمية ومنهم عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي
سفيان مؤسس الملك الأموي . ومن المطلب ابن عبد مناف المطلبون ومن
ذريتهم الإمام الشافعي ومن نوفل النوفليون

وولد لهاشم ﴿ عبد المطلب ﴾ ولم يعلم له ولد سواه . وولد لعبد
المطلب ﴿ عبد الله ﴾ وحزرة والعباس جد الملوك العباسيين
وولد لعبد الله بن عبد المطلب ﴿ محمد ﴾ النبي عليه الصلاة والسلام